الفصل الخامس

أسباب مشكلات الزواج

تتعدد أسباب مشكلات الزواج ولا يمكن حصرها في خانة واحدة أو بمسبب واحد فللبشر احتياجات ومشاعر مختلفة، وخبرات متفاوتة، ولهذا فإن الرؤى تختلف اختلافاً جوهرياً، فما يُسعد بعض الأشخاص قد لا يُسعد البعض الآخر، ولكن معظم الدراسات حول هذا الموضوع أثبتت أن المشاكل تتضاعف بين الأزواج الذين يعانون من مشكلات نفسية أو اجتماعية. وحين يعجز الشخص عن تحقيق التوافق في أبسط الأمور قد لا يحقق التوافق مع الشريك.

١. **الأسباب الحيوية** : وتشمل اختلاف الزوجين حيوياً كما في اختلاف العامل الريزسي في الدم، وعدم التكافؤ الجنسي، والعجز الجنسي، والعقم، وسن العقود، والشيخوخة.

٢. **الأسباب النفسية**: ومنها الخبرات العاطفية الأليمة نتيجة لفشل حب أو خطوبة أو زواج سريع سابق فاشل، أو صدمة عاطفية، أو فقد ثقة معممة على الجنس الآخر كله، والحرمان والجوع الجنسي (رغم الزواج)

والملل والروتينية، والتعود على السلوك الجنسي الشاذ، والخوف من الوحدة كما في حالات الطلاق والترمل، وزواج المراهقين ممن لم تنضج شخصياتهم بعد، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية.

٣. **الأسباب البيئية:** وهي كثيرة جداً ومنها العادات والتقاليد مثل زواج الأقارب وزواج البدل، و وجود خطأ في الأفكار أو أفكار خرافية لا أساس لها من الصحة، وتأخير الزواج حتى تزويج الأخوات، والانتقال أو الاستغراق في عمل أو فن، أو الاشتغال بمهن يخشى معها عدم نجاح أو استقرار الزواج كما في حالة البحارة والمضيفين والمضيفات، والتخوف مما يرى من زيجات فاشلة، واتخاذ صورة مثالية غير واقعية يعيش الفرد آملاً في تحقيقها حتى يفوته القطار مثلاً، والمغالاة في المهور وتكاليف الزواج، ومشكلات السكن، وعدم التوفيق في اختيار الزوج والعنوسة، والإحجام والإضراب عن الزواج، والتفاوت وعدم التكافؤ بين الزوجين، والاختلاط الزائد والتجارب قبل الزواج، واضطراب العلاقات الزوجية، والتعرض لأسباب الغواية، وحب المغامرة والتجريب، والشك وسوء التفاهم وسوء المعاملة والشجار الدائم، والطلاق، والترمل والعزوبة بعد الزواج من جديد، والزواج المتسرع، والزواج الجبري، وزواج المبادلة، وزواج الغرض، والزواج القائم على الغش، والزواج العرفي، والأم غير المتزوجة، والأب غير المتزوج، والاتجاهات السالبة نحو الزواج، ونقص التربية الجنسية، ومشكلات الزوجة العاملة، ومشكلات تنظيم النسل، وتدخل الحماة والأقارب في الحياة الزوجية، وتعدد الزوجات، والخيانة الزوجية، ونقص الأخلاق والدين، وسجن أحد الزوجين."[1]

1- زهران حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٨ ص٥٣٨.

٤. **الناحية التربوية** النفسية: فيمكن أن نخص أسباب الخلافات الأسرية بثلاثة عوامل:

١. العصبية الزائدة: وبسبب العصبية يتحول الاستياء إلى مشادة كلامية ومن ثم إلى خلاف.

٢. فقدان أسلوب حوار سليم بين أفراد العائلة، لا أحد يسمع لأحد، ولا أحد يسمع ماذا يقول الآخر، فيتحول الحوار إلى فرض و وصاية أو إسداء نصائح أو تهجم، ويصير جدالاً لا يخدم عملية التواصل بين الأفراد. وفي دراسة امتدت لعشرين سنة تبين أن الشباب يتجه إلى الانحراف بسبب فقدان العطف والحنان، وفقدان أسلوب التحاور بين الشباب وآبائهم.

٣. سوء العلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة، وهذا السبب من الأسباب الغير معلنة، إلا أنها من أهم الأسباب في نشوب خلافات زوجية دائمة ومتكررة. أما إذا كانت العلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة سليمة وفيها تجاوب جيد بين الطرفين يمكن لعاملي العصبية وسوء الحوار أن يشحنا الأجواء المنزلية بخلافات عديدة لكنها في الغالب لا تؤدي إلى انفصال وطلاق[1].

بعض العوامل التي لها تأثير مباشر على الزواج

١. بداية المشكلة تكمن في الاختيار

إن كثيراً من الناس لا يسألون عن سمات الزوج وطباعه أو طباع الزوجة بل يسألون عن المركز الاجتماعي والمستوى الاقتصادي. ويتسابقون إلى إقامة الحفلات للعرس على سبيل التباهي أمام الناس.

1- عبلة بساط، مهارات في التربية النفسية، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٠٦.

إن المشكلة هي مشكلة الاختيار، وإن البحث عن الجوهر ليس بالأمر السهل ولا يمكن معرفة السمات إلا بعد إزاحة الستار عن كل هذه القشور المادية - أو ما يمكن تسميته بصفقات الزواج والنظر بجدية إلى الأمور المعنوية والذاتية لكل من الزوج والزوجة.

يقول ألبورت "ليس من المأمون أن نصف الشخصية الإنسانية بصيغة الأدوار، أو الوظائف، أو المراكز الاجتماعية، أو بأية سمات اجتماعية أو ثقافية، فعندما نقول أن ماكس، مزارع ريفي، كاثوليكي، أو طبيب إيطالي، أو مدير أعمال، أو عضو من طبقة متوسطة، فنحن بذلك لا نصف شخصيته، فقد يكون منحرفاً حيث أن سماته الذاتية هي التي تنظم الآن شخصيته".[1]

هناك الكثير من الشباب يعرضون عن الزواج رغم توقهم لبناء أسرة بسبب الكلفة الباهظة للزفاف، وبسبب الطلبات الكثيرة لأهل العروس. فالمزايدة أصبحت سمة واضحة في سلوك الجماعة. وعدم التساهل في النفقات التي تصرف في أمور غير أساسية (كثوب الزفاف، والحفلات، وعلب الحلوى...) تدفع المقبل على الزواج إلى الاستدانة، ويصبح في حالة توتر حين يعجز عن تسديد الأقساط المتراكمة،مما يجعل الحياة الزوجية مجموعة من المشاحنات والمشاكل.

والرسول عليه السلام يقول: "إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً"

فالتفاهم حول الأمور المادية شرط أساسي من شروط الزواج يجب التوافق عليه.

كما أن الاهتمام بالكماليات والمظاهر دون النظر إلى الضروريات

1- الأشول عزالدين، سيكولوجية الشخصية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨ ص١٢٦.

سيؤدي حتماً إلى خلل في مكان ما، إن التفكير المنطقي والوعي هما الأساس لبناء علاقة ناجحة، حتى لو اختلفت الصفات أو الأمزجة. فلا توجد شخصية حتى في التوائم المتماثلة لها نفس الطبائع أو السلوك فسمات كل شخص هي في جوهرها متفردة. ويجب التفريق بين السمات والمزاج. فالسمة هي بعض النزعات والميول الدائمة، أما المزاج فهو حالة وقتية عابرة، ولا يمكن تكوين فكرة عن أي شخص في موقف محدد وطارئ.

مثلاً النظرة الأولى لطالب الزواج تكون من خلال هندامه ومظهره وطريقة حديثه ولا يُنظر إلى أبعد من ذلك، وهذا هو الخطأ الفادح الذي سيؤدي حكماً إلى إثارة المشاكل فيما بعد.

"ولكي نتفهم الكائن البشري يجب أن يكون لدينا معلومات وبيانات حول خبراته الهامة. وبما أن العديد من هذه الخبرات تحدث في داخل إطار الأسرة التي ولد فيها فإنه يمكننا بالتالي أن نفترض أن الأسرة هي المحدد الحاسم للشخصية التي يكونها الوليد البشري... وفي الأسرة يتعلم الطفل مهارات متنوعة وطرقاً للسلوك... كما أن الوظيفة الجوهرية للأسرة هي تطبيع وليدها ميكانزم التطبع الاجتماعي."[1]

"أن الشخص الذي نشأ في أسرة كانت تعاني دائماً من ألوان كثيرة من النكد والمعارك المستمرة بين والديه. هذا الإنسان عندما يكبر ويتزوج يسعى دون أن يشعر إلى خلق المشاكل لا في حياته الخاصة فقط ولكن في حياته العامة أيضاً. والإنسان الذي كان يلعب في طفولته دور الضحية لخلافات الأبوين ويتألم لذلك يصبح جلاداً في الكبر ويجد لذة في ممارسة هذا الجلد النفسي للآخرين وهذا النوع يُتوقع دائماً أن تكون

1- نفس المرجع ص١٩٧.

حياته الزوجية مليئة بالنكد والخلافات، والصراخ، وجرح كرامة الآخر."[1]

"إن الأطفال الذين يمرون بتجربة انفصال آبائهم ينخفض مستوى تحصيلهم الدراسي، وتنخفض دخولهم ويزداد احتمال تعطلهم، وأن يعملوا عندما يكبرون- بأعمال أقل تميزاً من نظرائهم الذين نشؤوا في كنف والديهم (ماك لانهان وساندفور١٩٩٤، ودرونكرز١٩٩٥، وجونسون وغالر ١٩٩٧، وأليوت وريتشاردز١٩٩١، وكيرنان١٩٩٧). ونجد أن الفتيات اللاتي مررن بتجربة طلاق الوالدين يزداد لديهن الاحتمال أكثر من نظيراتهن ممن لم يعرفن هذه التجربة- أن يبدأن العلاقات الجنسية في سن مبكرة، وأن يلدن في فترة المراهقة، وأن ينجبن أطفالاً خارج علاقة الزواج. (كيرنان وهوبكرافت ١٩٩٧، وكيرنان١٩٩٢، وشيرلين، كيرنان وتشيز لانزديل ١٩٩٥، وكيرنان ١٩٩٧). وأن الشباب والشابات المنتمين إلى مثل هذه الأسر يزداد لديهم احتمال التعرض لانفصام علاقاتهم الزوجية.(مولر وبوب ١٩٩٧. وكيرنان ١٩٨٦. وغلين وكريمر ١٩٨٧، وكيرنان وشيرلين ١٩٩٩).

والخطأ الثاني والأهم والذي لا يتم أخذه بعين الاعتبار أثناء فترة التعارف والخطوبة هو التغاضي عن كثير من العيوب، التي يتم اكتشافها لدى الطرف الآخر، ولا أحد يعترف بوجود هذه العيوب إلا بعد الزواج وإنجاب الأطفال. والدليل على ذلك:

"الزوجة لا تفهم مصدر الخطأ في علاقاتها بزوجها، وهو شعورها أن

1- بنجامين سبوك، حديث إلى الأمهات، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦ ص٣٣٠.

الزوج ليس فيه صفة واحدة تستحق الإعجاب وأنها اكتشفت ذلك بعد الزواج مباشرة، أن ذلك القول في رأيي غير صحيح تمام الصحة، لأنني لا أشعر أن هناك إنساناً يتمتع بمثل هذه القدرة الخارقة على التمثيل أثناء فترة الخطوبة، فكيف لم تلاحظ الزوجة بعض عيوب الزوج قبل الزواج... وإذا كان الزواج قد وصل إلى هذه الدرجة من السوء فلماذا استمرت حياة الزوجين تحت سقف بيت واحد لا يجدان فيه أي متعة، ولماذا ينتظران إلى أن يرزقا بأطفال وإذا كانت قد اكتشفت كل هذه العيوب فور بداية الزواج فلماذا استمرت فيه ولماذا أنجبت من هذا الرجل الذي لا يتمتع بميزة واحدة."[1]

يجب أن يعرف الطرفان في كل زواج قبل أن يتم مزايا وعيوب الآخر، وعلى كل واحد أن يرسم لنفسه الأسلوب الذي يمكن أن يتكيف به مع هذا الزواج. وكلما تقدم عمر الزواج يشعر كل طرف بأنه قد ازداد فهماً للآخر، وتصبح العاطفة الأسرية المرتكز الأساسي الذي يدعم استمرارية الزواج، وقبول الآخر؛ لأن السعادة في الزواج هي نتيجة الجهد المشترك الذي يبذله الزوجان للتكيف مع بعض السمات التي يصعب تغييرها.

لذلك يمكن اعتبار فترة الخطبة مؤشراً هاماً لمعرفة مدى التوافق بين الخطيبين شرط أن تكون هذه الفترة للتفكير، وليس للعواطف أو الأحلام، لأن التعارف يجب أن يقوم على الفهم المتبادل والصدق، كي يتمكن الخطيبان من اكتشاف احتمالات الصراع في المستقبل للعمل على تجنبها.

وفي دراسة قام بها "بيرجيس و والن" حول التشابه في اعتناق الأفكار

1- المصدر نفسه ص٣٣٢.

والاتجاهات والمفاهيم المتعلقة بالزواج، أشارت البيانات المقدمة في هذا البحث إلى أن الزيجات المتجانسة تحدث بتأثير من العوامل الاجتماعية، مثل المعتقدات الدينية، وبيئة الأسرة، والسلوك أثناء الخطبة المبدئية، والمفاهيم والاتجاهات التي تدور حول الزواج والمشاركة الاجتماعية، والعلاقات الأسرية. وإن درجة التشابه بين الشريكين، كانت أعلى ما تكون في السلوك المتأثر بالدين والمعتقدات الدينية، يليه في المرتبة السلوك المتأثر بالخلفية الثقافية للأسرة. وثم استبعاد أي أثر لتأثير العلاقة الزوجية والخبرة المشتركة في التجانس وذلك باتخاذ استجابات الخاطبين أساساً للدراسة وعدم تطبيق هذا البحث على المتزوجين، لأن الارتباطات العالية التي وجدت بين المتزوجين في دراسات على الاتجاهات والقيم قد تكون راجعة إلى العوامل التي تنشط بعد الزواج.

وعلى الرغم أن فترة الخطبة أقل من مدة الزواج، إلا أنها تعمل على إيجاد تشابه في السلوك والاتجاهات، وذلك نتيجة الانصهار المتبادل الذي يحدث أثناء فترة الخطبة.

وتتفق النتائج التي توصل إليها "بيرجس و والن" مع النتائج التي توصل إليها باحثون آخرون فيما يتعلق بالزواج المتجانس.[1]

وقد أجرى كل من "تيرمان" و "بتن ويزر" و "كيرباتريك" بحوثاً مختلفة لمعرفة صلة التشابه بين شخصيتي الشريكين في التوافق، فوجدوا أن احتمال سعادة الزوج والزوجة تزيد إذا ما كانا متشابهين في الاتجاه نحو تجنب "المجادلة".

وتبين الدراسة أيضاً أن شديدي الشقاء في حياتهم الزوجية بينهم

1- الساعاتي سامية، الاختيار للزواج، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٧ ص١٥٣.

اختلافات واضحة في أمور تتضمن الشأن الديني وأشياء تدور حول فلسفة الحياة.[1]

ويرى "نيمكوف" أن سبب التجانس الفيزيقي بين الشريكين يرجع إلى تجانسهم في الجنس والدين والمكانة الاجتماعية والاقتصادية وعملية الاختيار تتم في نطاق جغرافي محدد ولذلك فالسمات تكون متشابهة إلى حد كبير وخاصة في المجتمعات التي تستنكر الزواج من خارج الجماعة فأعضاء هذه الجماعات المغلقة نوعاً ما يشعرون بالتآلف فيما بينهم نظراً للخلفية العنصرية والطبقية الدينية والثقافية ويرى "نيمكوف" أن الأفراد المتشابهين يزيد احتمال التقائهم عن الأشخاص المختلفين[2].

وقد حاول ستروس اختبار نظرية فرويد عن الصورة الوالدية أو التماهي بالوالدين من خلال دراسة عن مدى التشابه الفيزيقي والتشابه في الآراء والمعتقدات وكذلك التشابه في الخلق بين الشركاء والوالدين.

ووجد ستروس تشابهاً بين أحد الوالدين والشريك في الخصائص الجسمية والآراء والخلق والشخصية و وجد أن هناك سمات خلقية معينة بين أحد الوالدين والشريك مثل التغلب على الصعاب بسهولة والشعور بالواجب والثقة بالنفس، وتؤيد هذه النتيجة النظرية العامة للصور الوالدية (الوالد ـ الوالدة) التي تؤثر على اختيار الفرد لشريكه في الحياة[3].

أما "كيوبي" وهو أخصائي في مشاكل الزواج يعتبر أن القدرة على الاختيار السليم تتوقف على العمليات التطورية التي يجب أن تبدأ في

1- نفس المرجع ص١٥٩.

2- نفس المرجع ص١٦٣.

3- نفس المرجع ص٢١٥.

السنين المبكرة والتي تؤثر في معدل النضج وكذلك في الانسجام أو التناغم النهائي بين المكونات الشعورية والمكونات اللاشعورية أي أن يتعمق الشخص في معرفة ذاته وسبر أغوارها، كي يحقق نضجاً عاطفياً مبكراً يتلاءم مع نضجه العقلي والجسمي.

إن عدم التجانس في الطباع والميول والأفكار بين الزوجين يجعل حياتهما شبه مستحيلة، وخاصة عند الأشخاص المتعصبين لأفكارهم وغير المرنين، التعصب يخلق صعوبات نفسية تؤدي إلى عدم التوافق، لأن المتعصبين يتميزون بالتوتر والتسلط الذي يصعب على الطرف الآخر تحمله.

٢. تأثير الدين

يعتبر الدين المؤشر الأكثر أهمية الذي يعمل على تغيير النماذج الاجتماعية فالدين شخصي إلى حد ما واجتماعي إلى حد آخر. فما زال السؤال الأهم في معظم المجتمعات عن طالب الزواج هل هو من نفس الطائفة؟ هل هو متدين؟. إن الكثيرين من علماء الاجتماع والمؤرخين رأوا في الدين مفتاحاً لتغيير قسم كبير من عادات وحياة الشعوب مثل "دوركهايم" و "فوسيل دي كولانج" "وماكس فيبر" الذي فسر في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" كيف ساعد الإصلاح الديني على ازدهار الرأسمالية. و"أندريه سيغفريد" ينضم إلى النظرة القائلة بأهمية الدين الراجحة في حياة المؤمنين. ويعتبر "يونغ" أن طاقات الإنسان هائلة، وتركيبه المعقد يتخطى العلوم الفيزيائية والفيزيولوجية، فالإنسان بالنسبة له يتكون من جسد وروح وليس مجرد شخص يحوله الموت إلى جثة، وسؤال "يونغ" هو " كيف يمكن للشخص أن يكتشف شخصيته، أن يكونها، يطورها ويهذبها ليتحد مع نفسه أو يصبح نفس هويته" إن

طاقات الإنسان بالنسبة ليونغ تتخطى حدود الفيزيولوجية فلا يمكن معرفة شخصية الإنسان إلا من خلال معرفة بيئته وثقافته، مع الأخذ في الحسبان العناصر الرمزية والأسطورية التي تدخل في تكوين الشخص. فالتفسيرات العقلانية أو الحتمية هي تفسيرات مجتزأة، بينما يعتبر أن الأحلام والنزوات هي الأنماط الأساسية التي تنطبق على الشخصية الحقيقية للإنسان.

وكل شعب يعتبر أنّ معتقداته هي الصحيحة، وأن ديانته الخاصة هي أفضل الأديان؛ ولكن بدرجات متفاوتة. وعندما ندرس ديانات الشعوب نستطيع أن نكتشف طبائع تلك الشعوب، والطقوس الدينية تختلف بين شعب وآخر، ولكن هناك توافقاً بين كل الأديان على ضرورة اتِباع تعليمات ومفاهيم أخلاقية تنظم سلوك الجماعة، سعياً للتقرب من الله. ومن يخالف وصايا الرب لا يحصل إلا على اللعنة ويُنبذ من الجماعة؛ والشخص الذي يسلك طريق الشر تمتلئ حياته بالأفكار الشريرة؛ أما الذي يسلك طريق الخير والحق سوف يبلغ الكمال والخلود. فالصراع بين الخير والشر قد وجد مع وجود الإنسان على هذه الأرض لكبح الشهوات، وتخفيف العنف، والحد من الأنانية والتسلط.

وفي كل الأديان يعمل الناس على مراعاة المثال الخُلقي الأعلى المطلوب وهم على استعداد بالتضحية بأي مبدأ في سبيل العقيدة، والواجب الديني عند المؤمن يصبح من الأمور المحببة المرتبطة بالقلب والروح، ولهذا لا يبقى الواجب الديني عبئاً بل يصبح الواجب فرحاً وسعادة. فالعقائد الدينية عند معظم الشعوب تفرض نفسها بشكل مُلفت، فكثير من العلاقات الزوجية التعيسة تستمر بسبب التمسك

بالتعاليم الدينية، فهناك بعض الأزواج يكرسون حياتهم في سبيل المحافظة على الأسرة، ومن نماذج التضحية ما كان شائعاً في الهند حين تُلقي الأرملة نفسها في النار لتَحترق مع جثة زوجها المتوفى كي تَحصل على البركة. فالمحاذير الدينية تُعتبر أهم رادع يتحكم في مصير الناس، وفي سلوكهم؛ وهذه المحاذير تَعمل على كبح الرغبات، وتعزيز الإرادة، وتجعل من الصبر فضيلة. والشخص الذي يحيا حياة الدين يُعتبر أكثر أمانة للدين من الشخص الذي لا يعرف شيئاً عن الدين أو يعرف عنه نظرياً فقط. ولا تعارض اليوم بين الدين والعلم فكل المحاذير الدينية سواء كانت صحية أو نفسية أم حقوقية إذا تعمقنا في دراستها نجد فعلاً مدى ضررها على حياة الناس. ويبدو أن هناك ارتباطاً قوياً بين الشعور بالرضى الديني والتعلق بالدين وبين السعادة الزوجية.

"وقد أوضحت دراسة إنجليزية أن ٩١٪ من النساء المترددات على الكنيسة يعبرن عن سعادة شديدة في الزواج. وذلك مقابل ٦٢٪ ممن لا يذهبن إلى الكنيسة. ويقل معدل الطلاق كثيراً لدى المتدينين، ويعود هذا جزئياً إلى أن الطلاق غير مقبول أو ـ ممنوع ـ في معظم المذاهب الدينية المسيحية. ومن النتائج الأمريكية الحديثة أن المتدينين يشعرون بالوحدة أقل من الآخرين".[1]

"إن انحلال الدين المتثبت بعقائده (الدوغماتيكي) أكان خيراً أم شراً هو أكثر الحقائق أهمية في العالم المعاصر، بالكاد بدأت تظهر نتائجه ويستحيل علينا أن نعرفها، ولكن من المؤكد أنها ستكون عميقة

1- سيكولوجية السعادة، مصدر سابق، ص١٦٤.

وبعيدة المدى".[1]

وإذا أخذنا آراء مؤرخ معاصر عايش المشكلات الراهنة مثلاً "توينبي" يقول:

"الذين يعتبرون الأديان سرطانات مخطئون فإن السرطان الحقيقي هو أن تحل المذاهب أو الإيديولوجيات السياسية محل الأديان، لا أن تحل الأديان محل الإيديولوجيات، إن سيطرة الإنسان على الطبيعة لا تقل أهمية من إثراء الجانب الروحي فيه، ولا أمل في استقرار السلام أو طمأنينة الإنسان إلا بالاستناد إلى الدين".

وإذا نظرنا إلى معظم الحضارات نجد أن الدين هو الظاهرة الأهم في حياة كل الشعوب على مر الزمان من الحضارة الصينية إلى المصرية ثم اليونانية وعصر التنوير إلى حدود يومنا هذا.

وخلاصة القول أن نظرة التشاؤم السائدة في مجتمعاتنا اليوم تعود إلى عدم إشباع الجانب الروحي، والجانب الخُلقي في حياة الإنسان. وعبارة السيد المسيح هي الأكثر تعبيراً عن هذا الواقع ﴿وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان﴾.

٣. عدم معرفة الاختلافات بين الجنسين

لا بد للشخص المتطلع نحو الزواج من معرفة الاختلافات القائمة بين الجنسين، لأن عدم المعرفة بهذه الاختلافات تؤدي إلى سوء فهم للطرف الآخر وهذا يسبب المشاكل. وخاصة في بداية الحياة الزوجية.

يجب أن يكون المقبلون على الزواج على معرفة تامة بوجود اختلافات جوهرية بين الجنسين، ويجب أن يعملوا على التكيف مع هذه الاختلافات

1- أسس لإعادة البناء الاجتماعي، مرجع سابق، ص١٦١.

openkan.com

بدلاً من المطالبة بضرورة تغيير الطرف الآخر أو أخذ مكانه فلا يمكن للمرأة أن تأخذ مكان الرجل والعكس صحيح ومطالبة النساء بحقوق مشابهة لحقوق الرجال هي عمل خاطئ. فالاستقرار بين الزوجين لا يمكن التوصل إليه إلا من خلال التوافق والرضى بالأمر الواقع والتمرد على الطبيعة يوقع صاحبه في متاعب ومشاكل لا حصر لها.

مع أن كل شخص يمكن أن يوافق على أن الرجال والنساء مختلفون، إلا أن مدى الاختلاف هو الذي لا يعرفه أكثرية الناس. لقد ظهر العديد من الكتب التي تتحدث عن هذا الموضوع في محاولة لتعريف وتحديد الاختلافات بين الزوجين. إلا أن العديد من الكتب جاءت أحادية الجانب وأدت لسوء الحظ إلى تعزيز حالة عدم الثقة والامتعاض من الجنس الآخر، بدل أن تساعد على تحديد أوجه الاختلاف كي يتم التوصل إلى التوافق.

"إن تحسين العلاقة بين الرجل والمرأة يستدعي فهم واستيعاب الاختلافات والفوارق التي تعزز الثقة بالنفس وكرامة الشخصية مع توطيد الثقة المتبادلة والمسؤولية الشخصية والتعاون والحب... ومن خلال معرفة أوجه الاختلاف بين الرجال والنساء، نستطيع أن نتعلم طرقاً جديدة لإقامة الاتصال مع الجنس الآخر والاستماع إليه ومساعدته عند اللزوم. وسوف نتعلم خلق الحب الذي نستحق... فالرجال والنساء ليسوا مختلفين فقط في طريقة الاتصال، بل هم كذلك في طريقة التفكير والإحساس والإدراك، وردود الفعل، والحب، والحاجة، والتقدير. إنهم يبدون كما لو كانوا من كواكب مختلفة، يتحدثون لغات مختلفة، يحتاجون أشياء مختلفة... ومن شأن هذا الفهم الشامل لأوجه الاختلاف

بيننا أن يساعدنا في حل الكثير من المصاعب التي تواجهنا في محاولتنا لفهم الجنس الآخر، أو التعامل معه، فعندما تعرف أن شريكك مختلف عنك كما لو أنه من كوكب آخر، فإنك تسترخي وتعمل على التعاون بدلاً من المقاومة أو محاولة التغيير."[1]

إن محاولة البرهنة على عدم وجود اختلاف بين الرجال والنساء من الأخطاء الفادحة في مجتمعاتنا، وحين تحاول المرأة استغلال الرجل من الناحية الجنسية لإخضاعه تفقد هويتها كامرأة وتصبح عدوة نفسها فهي بهذه الوسيلة تسبب الإذلال لنفسها ولكل النساء، فالتحرر من عبودية الرجل لا يكون بتكريس عبودية أخرى هي عبودية الغرائز، ولم تستطع الحضارة المعاصرة إزالة هذه النظرة إلى المرأة باعتبارها مفهوماً جنسياً ويتعزز هذا الاتجاه من خلال بعض وسائل الإعلام وبعض المجلات والكتب الرخيصة التي تساهم في تزييف وعي المرأة التي تتخذ من شكلها وسيلة للإيقاع بالرجل ولتحقيق بعض المآرب الشخصية. والرجل يصبح عدو ذاته إذا لم يدرك أن المرأة التي تتعرض للإهانة بشكل مستمر سوف تتحول إلى كائن مليء بالحقد والكيد والمراوغة. وحين ندرك طبيعة الاختلافات بين الرجال والنساء وحين يفهم كل واحد حاجة شريكه نكتشف سبلاً كثيرة لتحسين العلاقات بين الأزواج فالغضب يأتي من عدم فهم وجهة نظر الآخر. المرأة تحتاج إلى القبول والحب والتقدير تحب أن يسمعها الرجل وأن يعطيها الاهتمام وهي تشعر أنها غير محبوبة إذا لم يستمع إليها الرجل. والرجل لا يحب أن تُقدم له النصائح من زوجته وكأنه طفل، ويحتاج إلى ثقة زوجته وقبولها حتى يتحسن، والرجال لا يحبون طرح الأسئلة عندما

1- جون جراي، الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، دار الأصل، ١٩٩٩، ص٣.

يكونون في حالة توتر ويفضلون الصمت.

٤. تأثير تفاوت المستوى الثقافي والاجتماعي

يجب أن يتم الاختيار للزواج على أساس التوافق الفكري والتقارب الثقافي، سلوك الأفراد يختلف باختلاف المجتمعات والتفاوت الثقافي يخلق توترات تؤدي إلى خلل في العلاقة بين الزوجين، وتكون الراحة والطمأنينة أكثر احتمالاً بين الأزواج ذوي الخلفية الاجتماعية المتقاربة، فالتشابه يعمل على خفض التوترات بنسبة ملحوظة.

وقد أجرى كل من "تيرمان وبتن" بحوثاً مختلفة لمعرفة صلة التشابه بين شخصيتي الشريكين فوجدا أن احتمال سعادة الزوج والزوجة تزيد إذا ما كانا متشابهين، أما شديدو الشقاء في حياتهم الزوجية فيوجد بينهم اختلافات واضحة فيما يتعلق بالميول المشتركة. "كما وجد "كيرباتريك" أن مستوى التجانس بين الأزواج هو الذي يحدد مدى نجاح العلاقة. وقد أشارت الدراسات الكثيرة التي أجريت حول موضوع التجانس إلى أن نسبة كبيرة من الرجال والنساء الذين ينتمون إلى مكانة معينة قد تزوجوا ممن ينتمون إلى المكانة نفسها، أو من طبقات اجتماعية متقاربة، وفي دراسة "مارفين" المستفيضة عن الزيجات التي حدثت في فيلادلفيا وجد أن الرجال والنساء الذين يمتهنون المهنة نفسها يتزاوجون داخلياً بدرجة تفوق مستوى الصدفة. ويرى "نيمكوف" أن التجانس الفيزيقي بين الشريكين يرجع إلى تجانسهم في الجنس والدين والمكانة الاجتماعية، وأن عملية الاختيار للزواج تتم في نطاق جغرافي محدد ولذلك تكون الصفات متشابهة إلى حد كبير."

وهناك نظريات أخرى تركز على مسألة التجاذب "الهارموني" أو

التناغم. وقد أشار "دوركايم" إلى هذا الموضوع فقال: "لما كان كل واحد منا ينقصه شيء لذلك فنحن ننجذب نحو هؤلاء الذين يكملون أوجه النقص فينا". واعتبر البعض أن الحاجات المختلفة أو الميول المختلفة تعتبر جيدة، فهي تعمل على التوازن في الزواج، فالأضداد يتبادلون العون والخبرات المتضادة، أو الميول المختلفة، وهذه أمور قد تكون مصدراً للقوة في الزواج، أو تكميلاً لبعض جوانب النقص في شخصية أحد الزوجين، وقد استخلص "فرويد" من خلال عمله في العيادة النفسية، أن "النرجسيين" يتزوجون غالباً من أشخاص "كفليين". فرويد ينظر إلى موضوع الاختيار للزواج من زاوية التكامل السيكولوجي فهو يرى أننا في الاختيار للزواج نبحث إما عن شخص يشبهنا أو عن شخص يحمينا. ويركز أيضاً على الصور الوالدية، فصورة الأب أو الأم تلعب دوراً مهماً في عملية الاختيار، نتيجة الخبرات اللاشعورية والطريقة التي تربى عليها الطفل في عائلته، ونتيجة توزع الأدوار والسلطة العائلية، لأن طريقة تصرف الآباء هي التي ترسم شخصية الأبناء إيجاباً أو سلباً.

إن الاختيار للزواج لا يقوم على دوافع الإعجاب فقط، بل يجب الانتباه إلى كل الخبرات النفسية والتربوية؛ فالانجذاب المادي يتلاشى بسرعة، وبعض المتناقضات البسيطة تكون مقبولة لتحقيق التوازن، أما وجود تفاوت كبير بين ثقافة الزوجين يجعل الحياة الزوجية ضرباً من المستحيل، ولن ينفع الوجه الجميل أو القد الرشيق إذا غاب التفاهم وانعدمت الفطنة.

٥. الغيرة بين الزوجين

كثيراً ما تؤدي الغيرة الشديدة من قبل الزوج أو الزوجة إلى نشاط يشبه عمليات التجسس، وعمليات التحري التي تؤدي إلى ارتفاع درجة

التوتر بين الزوجين.

وفي دراسة أجراها الباحثان (**Gayford;Gells**) يذكران أنه الحالات التي درساها كانت الغيرة هي السبب الأول لتدهور العلاقات بين الزوجين. في الغالب يتهم الزوج زوجته بالخيانة، وسواء أكان الزوج على صواب أم على خطأ، فالزوجة تنفي التهمة، وفي رأي (**Gayford**) كثيراً ما تكون خبرة الزوج نفسه، والتجارب التي مر بها، والحالات التي اطلع عليها، مصدراً لشكوكه، فيقوم بعملية إسقاط مثلاً معرفة رجل الأمن من بحالات انحراف النساء تجعله يراقب زوجته وبناته.

وعندما تستقر فكرة الشك في ذهن الزوج تجعله يتصور وكأن أطفاله ليسوا بالفعل أطفاله وإنما هم أطفال رجال آخرين وهذا بالطبع سيؤدي إلى كارثة.

ومن ألد أعداء الحب الغيرة المرضية أو(العصابية) فهي تتحول إلى حب أناني تؤذي صاحبها كما تؤذي الشخص الذي هو موضع الشك. وتتلف الأعصاب وتسبب الألم والكآبة وتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، وتؤدي إلى مأساة كبرى قد تصل إلى حد ارتكاب جرائم كالقتل في بعض الأحيان.

"وتعتبر الغيرة المرضية واحدة من الأمراض العقلية، وتشاهد أولاً عند الأشخاص المصابين باضطرابات نفسية (**Psychopath**)الذين ينفعلون انفعالاً شاذاً. فتصل الغيرة عندهم إلى درجة الانحراف العقلي (**Psychos**) المرتبط مع أوهام متسلطة... وتظهر أيضاً في بعض حالات الجنون (كالهذيان العنادي **Paranoia** بارانويا) وانفصام الشخصية سيتسو فريني **Schizophrenic**) وتظهر أحياناً في حالات تصلب الشرايين

المتقدم، والإدمان الكحولي والإدمان على سموم الكوكائين. والمصاب بالانحراف العقلي وأوهامه لا يمكن إرشاده أو تغيير مجرى أفكاره ولا تقنعه الإثباتات وهذا ينطبق على الغيرة المرضية. ومعالجتها تدخل في نطاق عمل الأطباء المختصين بالأمراض العقلية. والمصابون (بالغيرة الشديدة) لا يصح عقد ارتباط زوجي معهم وعلى الأخص إذا وجد عندهم استعداد موروث للأمراض النفسية."[1]

وأحياناً يكون للغيرة مبررات، فوجود علاقة خارج إطار الزواج ربما تكون مؤشراً على وجود أزمة حادة في الزواج.

وأسباب الخيانة عديدة ومتشعبة، فالحداثة بوجهها السلبي وتغير مفهوم الزواج، والتركيز على اللذة الرخيصة لدى بائعات الهوى، وكثرة الأفلام الإباحية، أمور دفعت الرجل الضعيف الذي يسعى لممارسة الشذوذ بكل ألوانه إلى التعامل مع المرأة باحتقار، ويتوقع من زوجته تصرفات شبيهة بتلك التي اختبرها من خلال معاشرة النساء العاهرات، فأصبحت المرأة الشريفة عرضة لشتى ألوان الإذلال من قبل هكذا رجال فاقدين للاستجابة الطبيعية. وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة التي اعتادت على ممارسة الجنس مع الآخرين لن تقتنع في زواجها، وخاصةً إذا كانت نظرتها للزواج قائمة على أساس المنفعة. وليس على أساس العاطفة والاستقرار.

"تتجه المرأة نحو الرجل بدافع الحب والبحث عن الاستقرار معه بالزواج، فإن النسوة لا يشتهين خوض مغامرات جنسية بل أن يتزوجن. والزواج في نظر المرأة ليس مؤسسة أبداً، بل علاقة حب إنسانية. والرجل كذلك يؤمن بالزواج لأنه يحب الراحة (السكون) ويؤمن عاطفياً

1- أمين رويحة، الحب والزواج ص: ٢٢٤.

بالمؤسسات التي تميل دائماً إلى أن تصبح في نظره مواضيعاً يحيطها بمشاعره. وفي نظر الرجل العادي، الحب بمعناه الحقيقي يتفق مع مؤسسة الزواج".[1]

أستاذ علم النفس في الجامعة الإسلامية بغزة أنور البرعاوي يقول: "إن التنشئة التي غابت عنها القيم الدينية والأخلاقية هي من أسباب الخيانة، ويضيف أن الشعور بالنقص وعدم الثقة يلعب دوراً في اللجوء إلى مثل هذا النوع من الخيانات. فصاحب الشخصية القوية ينأى بنفسه عن الانزلاق إلى مثل هذه اللوثات، ورفض البرعاوي تقديم أية مبررات من قبل الأزواج والزوجات، وقال أن الحل أولاً وأخيراً بتقوى الله وبالتعقل والواقعية، فالعاقل لن يرضى بهذا التصرف الشاذ."

سلامة النفس، وحفظ صحة الفرد، وكذلك المجتمع تكمن في الابتعاد عن العلاقات المحرمة ـ الزنى ـ وفي تنقية الأجواء من الإثارة الجنسية، إعلاماً ومظاهراً وأجواء اجتماعية؛ وتوفير الظروف الصحية والسليمة للجنس عبر الزواج لا غيره للحد من التسيب الجنسي. فالخيانة الزوجية هي بمثابة قتل بطيء للضحية.

٦. العمر عند الزواج

يعتبر الزواج المبكر من أهم أسباب الطلاق وله تأثير مباشر على النواحي النفسية والاجتماعية وهو يؤدي إلى تراجع فرصة التعليم والتوقف عن تنمية القدرات الفكرية واكتساب المهارات، كما يسبب عدم إشباع الحاجات النفسية كالحب لأن الفتاة أو الشاب في مرحلة المراهقة غير قادرين على اتخاذ القرار الحكيم المتعلق بالناحية العاطفية. كما أن

---

1 إحسان الأمين، المرأة ص: ٥٥.

تهيئة الفتاة لتكون زوجة وأماً مسألة ضرورية فتكوين الأسرة وتربية الأطفال يتطلبان علماً وخبرة والخبرة لا تكتمل في عمر مبكر.

من أهم أسباب الزواج المبكر:

١. الحاجات النفسية والعاطفية عند المراهقين.

٢. ميل المراهقين إلى الاستقلال.

٣. عدم المعرفة بالحقوق والواجبات.

٤. التخوف عند الفتاة من تضييع فرصة زواج قد لا تتكرر.

٥. تدني مستوى الوعي عند المراهقين.

٦. استغلال الزواج لمصالح مادية.

٧. التفكك الأسري وعدم تفهم الأهل لمصالح الأبناء.

شروط الزواج لجهة العمر حسب الطوائف:

تختلف شروط الزواج من طائفة إلى أخرى لجهة العمر حيث أن لكل طائفة من الطوائف نصوصها الخاصة التي تنظم الأحوال الشخصية.

- نماذج من سن الزواج المسموح به بحسب الطائفة:

❖ الحد الأدنى للرجل و للمرأة:

الكاثوليكية	الأرثوذكسية	الإنجيلية	في الشريعة الإسلامية
١٤\١٦	١٥ \١٧	١٦\ ١٨	البلوغ القانوني١٨\١٨ البلوغ الشرعي ٩\١٣

من الملاحظ أن تحديد سن الزواج يقتصر على مسألة النمو العمري عند المشرعين دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة النضوج الذهني واكتساب المهارات في إدارة شؤون المنزل والخبرة في تربية الأطفال ومعرفة الحقوق والواجبات وغيرها ، هناك مشاكل كثيرة تنتج عن

الـزواج المبكـر وخاصـةً المـشاكل الـصحية الـتي قـد تتعـرض لهـا الأم أو الطفل الذي لا تتم رعايته بالشكل الصحيح.

"بينت الدراسات وجود ترابط بين تدني العمر عند الزواج الأول وتدني أحوال المعيشة. وتزيد هذه النسبة بشكل كبير بالنسبة للذين يتزوجون بين سن العاشرة والرابعة عشرة (٥٠,٤ ٪) وهم حصراً من الفتيات، ما عدا حالات استثنائية. ويتبين أن الذكور الفقراء يتزوجون بين سن الخامسة عشرة والتاسعة عشرة(٧ ، ٥١٪) بنسبة أعلى من الفتيات (٣٦,٧٪)، حيث يشيع زواج الفتيات من هذه الفئة العمرية بين أوساط الفتيات الفقيرة والمتوسطة، خلافاً لوضع الذكور."[١]

٧. شرب الكحول

"إن نسبة عالية من حوادث العنف العائلي يلعب الخمر فيها دوراً بارزاً. فيذكر **(Gayford)** أن أربعة وأربعين بالمئة من السيدات اللاتي تعرضن للضرب اعترفن بأن ذلك حدث فور رجوع الزوج من الخارج مخموراً. يبدو أن الرجل الذي شرب كمية كبيرة من الخمر بحيث فقد توازنه العقلي يطلب الكثير من المطالب والخدمات التي لا تكون الزوجة مستعدة لها فيثور عندما ترفض الزوجة الطلبات أو تتباطأ في تنفيذها ويكون العنف هو النتيجة المنتظرة."[٢]

فقد أوضحت دراسة حديثة عام ٢٠٠٠ أجرتها الجمعية البريطانية لمكافحة الإدمان على الكحول، أن الكحول يرتبط بنحو ٦٥٪ من جميع محاولات الانتحار، وله علاقة بـ ٧٦ ألف إصابة أو عاهة في الجسم

1- المراهقون والمراهقات والزواج المبكر ص: ٤٢.

2- مجلة الفكر العربي، مرجع سابق، ص٣٨.

ونحو ٢٣٪ من قضايا إهمال الأطفال وسوء تربيتهم. إلى جانب وجود ٣٣ ألف حالة وفاة سنوية ذات علاقة مباشرة بتعاطي الكحول، كما أوضحت الدراسة أن قطاع الصناعات البريطاني يخسر نحو مليارين وثمانمئة مليون جنيه إسترليني سنوياً بسبب الأمراض والعوارض الصحية وفقدان العمل والموت المبكر الناتج عن المبالغة في تعاطي الكحول"[١].

وتأثير الكحول السلبي ينطبق على النساء كما ينطبق على الرجال حيث أشارت الإحصائيات السابقة إلى أن الكحول وراء ٣٥٪ من جرائم الاغتصاب.

"وإن استمرار تناول الكحول يحدث تأثيراً كابتاً ومثبطاً للجهاز العصبي المركزي في الدماغ والنخاع الشوكي، وهو ما يؤدي إلى إضعاف النشاط الجنسي أو إضماره كلياً أو جزئياً وفي دراسة قام بها **Whalley** على فئة من الكحوليين تبين من نتائجها إن ٥٤٪ من فئة الكحوليين يعانون من ضعف جنسي بالمقارنة مع ٢٨٪ من فئة غير الكحوليين"[٢].

وبسبب تأثير الكحول على سلوك الزوج و على أدائه الجنسي، وبسبب رائحة الكحول المزعجة تفقد الزوجة مشاعر التعلق والعاطفة والرغبة نحو الزوج.

1- المرأة، مرجع سابق، ص٨٧.

2- المرأة، مرجع سابق، ص٩٢.

obeikan.com

الوقاية من مشكلات الزواج

إن إيجاد الحلول للخلافات والاختلافات بين الأزواج من أصعب التحديات ولا يمكن اكتشاف لب المشكلة إلا من خلال التحليل والملاحظة والمراقبة والتجارب، ويمكن القول إن ما ينطبق على حالة لا ينطبق على أخرى نظراً للاختلاف في درجة الثقافة، والمهنة، وسلوك الوالدين، والحاجات الشخصية، والعمر عند الزواج، ومستوى الالتزام الديني فالكثير من علماء الاجتماع والمؤرخين والباحثين رأوا في الدين مفتاحاً لتغيير ميادين واسعة من حياة الشعوب، لأن الإيمان يخفف من الإحباط والعدوان والظلم ويمنع إلحاق الضرر بالآخرين.

"ولتخفيف المشاكل يجب اتخاذ الإجراءات الوقائية مثل الاهتمام بإنشاء مراكز الإرشاد الزواجي التي تقدم خدمات للمتزوجين وللمقبلين على الزواج لتجنب الوقوع في أخطاء التسرع، مع دراسة شخصيتي زوجي المستقبل بحيث تكونان متقاربتين جسمياً، وعقلياً، وانفعالياً، واجتماعياً، والتأكد من إجراء الفحوص الطبية قبل الزواج"[1].

ويجب العمل على بناء الثقة بين الزوجين، واعتماد لغة التفاهم، والابتعاد عن الوعيد والتهديد، لأن التصلب لا يحقق المطلوب، والجدل هو العنصر الأكثر تدميراً وخاصةً حين يتحول النقاش إلى لوم وامتعاض، وتجريح، فالأمر الذي يمكن حله بقليل من التفاهم بين الزوجين يصعب حله حين يتحول إلى مجادلات مؤلمة ومؤذية أثناء المواجهة ويؤدي إلى فقدان الاحترام المتبادل بين الطرفين.

1- الصحة النفسية والعلاج النفسي، مرجع سابق، ص٥٤١.

ومن الضروري معرفة الاختلافات البيولوجية والفطرية بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة، فالرجل يريد السلطة ويعتبر نفسه المسؤول وصاحب القرار، والمرأة بحاجة إلى الرفقة والاهتمام واللطف، فالعلاقات تصبح أفضل عندما يفهم كل واحد حاجة شريكه، وأحياناً تنتهي المشكلة بمجرد الاستماع إلى الآخر ومشاركته في أحاسيسه. وإن الزوجة حين لا تشعر بالاهتمام تصبح منهكة محبطة. وعندما تشعر بالاحترام تصبح راضية وتقدم الكثير.

والرجل يشعر بالسعادة حين يحصل على رضى المرأة وقبولها. وإذا شعر أنه غير مرغوب فيه يتراجع ويتوقف عن الاهتمام بزوجته.[1]

ويمكن القول بأن المشاكل الأسرية لا يمكن أن تحل عن طريق فرض القوانين، أو وضع شروط مادية (كالمهر، ومؤخر الصداق)، بل الوقاية تكون عن طريق التوعية العلمية لمعرفة الأسباب الأساسية للمشكلة، فالمشكلة قد تكون بسبب الزوج أو بسبب الزوجة أو الأهل أو التقاليد، أو بسبب عدم المعرفة وسوء التدبير. وهذا كله يتطلب تكثيف الجهود لتثقيف المقبلين على الزواج، لتخفيف المشاكل، ولإنقاذ الأبناء من خطر الضياع.

1- أنظر الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، مرجع سابق.

openkan.com